في ندوة عن قضايا التجديد في الفكر الإسلامي بالجامعة

د. عائشة: العالم الإسلامي يعيش أزمة لغياب الحضارة الفاعلة

د. الدسوقي: التجديد الفقهي مهدد من أدعيائه وبعض القوى السياسية

□ الدوحة - هديل صابر:

أكدت الدكتورة عائشة المناعي وكيلة كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية «سابقا»، جامعة قطر، على أن تجديد الفكر الاسلامي ضرورة من ضرورات الدين الاسلامي من منطلق أن الاسلام لم يأت إلا ليجدد وليغير ما هو سائد عند الناس من اباطيل وأوهام حجبت فطرتهم الصحيحة.

وأشارت الدكتورة خلال مشاركتها في الندوة العلمية للكلية التي طرحت تحت عنوان «من قضايا التجديد في الفكر الاسلامي» بقاعة المؤتمرات في مركز تكنولوجيا التعليم أمس الأول، إلى ما استشهد به المجددون في الاسلام على مشروعية التجديد بالآية الكريمة «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم»، موضحة مضمون هذه الآية بانه يحمل معنيين هما: تغيير يحدثه الله تعالى نمت عنه كلمة «لا يغير»، والثاني تغيير يحدثه الانسان «حتى يغيروا» أي أن منطلق التغيير يبدأ من المعنى الثاني وهو فعل الانسان أولاً ثم يبدأ فعل الله تعالى، وقالت مستشهدة بمنهج الدكتور يوسف القرضاوي في التجديد والذي قال فيه «لا يقع التجديد على الثابت من الدين وهو المنهج الالهي من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق، ولكنه يطول الحالة الثانية من الدين وهي ما يكون عليه الانسان في علاقته بالمعنى الأول من الفكر والشعور والعمل والخلق».

واستعرضت خلال طرحها نموذجاً من النماذج التي دعت للتجديد وهو مالك بن نبي وهو شخصية جزائرية ويعد احد النماذج الاسلامية الذي شغل فكره ما انتهى إليه حال المسلمين من تخاذل وتقهقر بالرغم من الامكانات الهائلة التي يحملها الدين لعمليات النهضة الشاملة لكل مناحي الحياة، كما ان فكره شُغِل كثيراً بالتقاء الحضارة الاسلامية بالحضارة الغربية وما نتج عن ذلك في موقفين متعارضين اعتبرهما أساساً لكل مشكلات الحضارة الاسلامية واطلق عليهما الأفكار الميتة والأفكار القاتلة، وفسر الأفكار الميتة بأنها الافكار التي فقدت الحياة نسبها إيانا، والأفكار القاتلة هي الافكار الغربية التي تسيطر علينا ونستعيرها من الخارج، حيث بينت بأن مالك بن نبي اوضح أن أفكارنا الميتة تتمثل في الفكر المتعصب المتشدد والمتجمد الرافض لكل ما هو جديد، أما الأفكار القاتلة فتتمثل في الفكر المتغرب والمتفرنج الذي لا يفرق في نظرته إلى التجديد بين ما هو ثابت وما هو متغير في الدين.

□ د. محمد الدسوقي

وأضافت ان العالم الاسلامي يعيش أزمة تتمثل في غياب الحضارة الاسلامية الفاعلة، حيث ولدت هذه الأزمة حركات اسلامية قسمها بن نبي إلى نوعين هما، تيار الاصلاح: وهو الذي يقوم منهجه على فهم الكتاب والسنة، أما التيار الثاني فهو تيار الحركة الحديثة وهذه الحركة تميزت بسطحيتها وغياب عمقها حيث أن هذا التيار يمثل مطامح طائفة اجتماعية تخرجت من المدرسة الغربية ومن أمثلتها حركة «عليكره» وزعيمها السيد أحمد خان في الهند.

وعرجت خلال حديثها إلى أن حركة الاصلاح قد اسست الحركة الوهابية التي رأى فيها ابن نبي انها حركة تصلح بما فيها من طاقة متحركة لتحرير العالم الاسلامي المنهار، وعلى الرغم من اعتراف مالك بن نبي لهذا التيار بالفضل وبدوره البارز في الاصلاح الا انه يتطلع إلى إصلاح اكثر إيجابية، إصلاح وتجديد يجعل المجتمع الاسلامي يبدع الوسيلة التي تشبع حاجته قائلا «ان نظرة واحدة إلى نهضتنا البعيدة حينما نهضنا على صوت زعمائنا الاقدمين كجمال الدين ومحمد عبده وغيرهما، حينما سمعنا هذه الأصوات الجليلة وايقظتنا من سباتنا أين توجهنا؟ توجهنا في طريق الحضارة ولكن بكل أسف من غير ان نحدد الهدف ونوضح معالم الطريق».

لذا صاغ مالك بن نبي مشكلات الحضارة في عناصر ثلاثة تمثلت في مشكلة الانسان ومشكلة الوقت ومشكلة التراب التي لو جمعت لأعطت المجتمع حضارة والتي يشترط لصحتها ان يتوفر مركب الحضارة الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة وهي الفكرة الدينية حيث رأى ابن مالك ان عناصر الحضارة متوافرة في الجزيرة العربية منذ زمن الا انها كانت مكدسة خامدة، إلى أن تجلت الروح في غار حراء لتنشيء حضارة جديدة ولدتها الآية الكريمة «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، فتظهر من هنا القيمة القرآنية لا لكونها آية يتبعد بها وتحفظ عن ظهر قلب دون أن تمس القلب بل قيمتها في كونها محركة للحياة وباعثة للنشاط حيث قال ابن نبي «إذا وهت الدفعة القرآنية توقف العالم الاسلامي كما يتوقف المحرك حين استنفاد اخر قطرة وقود.

وقد أوضحت الدكتورة بنصين ما اراده مالك بن نبي من الحضارة الغربية والنصان يمثلان نظرية ايمانه بقضية الاستفادة من الحضارة الغربية بشروط نضعها نحن بناء على ديننا وقيمنا، الأول «أن كل فراغ ايديولوجي لا تشغله أفكارنا ينتظار افكاراً منافية معادية لنا»، والثاني «إنه لمن المستحسن ان نعيد التفكير في تجربة غيرنا عندما تكون قابلة للتطبيق على حالتنا نحن، لكي نكيفها مع شروطنا الخاصة».

التجديد الفكري

وتناول نفس الموضوع الاستاذ الدكتور محمد الدسوقي عضو هيئة تدريس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة، الذي ركز على قضية التجديد الفكري بين النظرية والتطبيق قائلا أننا وخلال العديد من المؤتمرات المتخصصة نتطرق لقضية التجديد التي نلوكها في أفواهنا الا اننا لم نلمسها على ارض الواقع مما له اثار على المجتمع وعلى الأمة الاسلامية بأسرها. وأوضح أن فقهاء الأمة الاسلامية والمفكرين في العصر الحاضر اكدوا على ضرورة نشاط البحث الفقهي حتى لا يعيش عالة على تراث السابقين يردده ويقلده ويضعه في محيطه الضيق حيث لكل عصر مشكلاته وأوضاعه الفكرية والاجتماعية، ومن ثم اصبح من الواجب على علماء كل عصر النظر فيما يواجههم من حوادث بعقلية تابعة لمن خلو من قبلهم، مشيرا إلى أن من سبقونا اجتهدوا في حوادث عصرهم غير معتمدين على من سبقهم لذا فلا مناص من الجد وهذا الأمر مواكبة لمتطلبات العصر الحديث وما تطرأ عليه من أنماط اجتماعية جديدة.

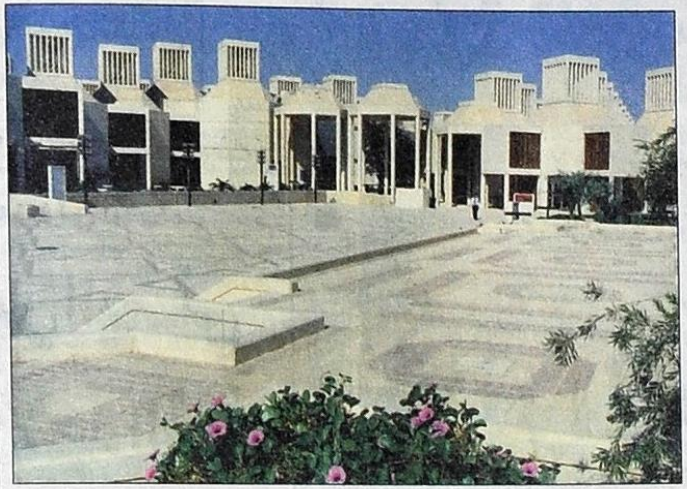

□ مبنى الجامعة

وقال «أن التجديد نبه عليه رسولنا الكريم فضلا عن عالمية الاسلام الذي جاء للناس عامة، والمجتمع البشري يتفاوت من حيث العادات والتقاليد والعقليات والظروف، اضافة لتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان كما أن نصوص الوعي الظنية فيها من المرونة ما يكفل اجتهادية نامية متطورة» واضاف بأن هنالك ما يهدد التجديد الفقهي يتمثل في دعاة التجديد وبعض القوى السياسية اضافة لبعض الطوائف التي تريد التجديد متشبثة بالماضي ومتعلقة بالحاضر، فضلاً عن موقف الغرب المتربص بنا وبمنهجنا الذي ان لم يقاوم ارهاصات التغيير والتطوير بالوصاية فسيؤثر على ثقتنا مما يصطدم مع المشكلات التي ستؤرق عبيشنا التي سنجده من بلبلة فكرية لما يجري من حوار ونقاش ضدنا». هذا وعقدت الندوة بحضور عميد الكلية الدكتور عبدالحميد الأنصاري وعدد من أعضاء الهيئة التدريسية بالكلية